

التبيان في تفسير القرآن

(65) سنكتب ما قالوا وقتلهم الانبياء بغير حق ونقول ذوقوا عذاب الحريق) (181) - آية
بلاخلاف - . قرأ حمزة وحده (سيكتب) بضم الياء. الباكون بالنون. ذكر الحسن وقتادة: أن
الذين نسبوا إلى تعالى إلى الفقر وأنفسهم إلى الغناء هم قوم من اليهود لما نزل قوله: (من
ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا) (1) قالوا إنما يستقرض الفقير من الأغنياء، فهو فقير ونحن
أغنياء، والقائل لذلك حي بن أخطب وفنحاص اليهودي. وقال أبو علي الجبائي: هم قوم من
اليهود، وإنما قالوا ذلك من جهة ضيق الرزق. وقيل: أنهم قالوا ذلك تمويهاً على ضعفائهم
لأنهم اعتقدوا أن الله فقير على الحقيقة. وقيل: أنهم عنوا بذلك إله محمد الذي يدعي أنه
رسوله دون من يعتقدون هم أنه على الحقيقة. فان قيل: كيف الحكاية عنهم بأنهم قالوا ذلك،
وإنما قالوه على جهة الإلزام دون الاعتقاد؟ قلنا: لأنه إلزام باطل من حيث لا يوجب الأصل
الذي ألزموا عليه، لأنه إنما قال تعالى: (من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا) على وجه التلطف
في الاستدعاء إلى الطاعة، وحقيقته أن منزلة ما ينفقون في وجوه البر كمنزلة القرض الذي
يرجع إليكم ويضاعف به الاجر لكم مع أنهم أخرجوا ذلك مخرج الاخبار عن الاعتقاد. وفي الآية
دلالة على أن الرضا بقبيح الفعل يجري مجراه في عظم الجرم، لان اليهود الذين وصفوا بقتل
الانبياء لم يتولوا ذلك في الحقيقة، وإنما ذموا به، لانهم بمنزلة من تولاه في عظم الاثم.
وقوله: (سنكتب ما قالوا) قيل في معناه قولان: أحدهما - انه يكتب في صحائف أعمالهم، لانه
أظهر في الحجة عليهم وأجرى ان يستحيوا من قراءة ما أثبت من فضائلهم - على قول الجبائي
- . (1) سورة البقرة: آية 254 وسورة الحديد: آية 11.